مختصر

شرح العقيدة الطحاوية

بقلم

د. عمر عبدالله كامل

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، بالمحامد كلها ما علمنا منها وما لم نعلم والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن الإيمان عمل قلبي متعلق بالغيبيات محل القلب، به تصلح جميع الأعمال، فعليه تُبني.

واصطلح العلماء على تسميته بالعقيدة لأنها ما ينعقد القلب عليه، ودبج علماء المسلمون وسائل عديدة في العقيدة وشروحها.

ولقد كتب الله القبول للعقيدة الطحاوية فبلغت الشروح عليها العشرات من الشروح، كل أدلي فيها بدلوه جزاهم أمة عن المسلمين خيراً.

إلا أن زمننا يقتضي الاختصار لانشغال الناس بأمور معايشهم ، فرأيت أن اختصر من هذه الشروح اللازم والضروري والذي به يتحقق الغرض لعامة المسلمين.

راجياً من الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها الكاتب والقارئ والسامع إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي -بمصر- رحمه الله:

هذا ذكر [1]بيان [2] عقيدة [3] أهل السنة والجماعة [4]

(١) الذكر قد يكون لسانيا وقد يكون قلبيا ونفسيا. والإشارة قد تكون إلى ما هو موجود خارجا وقد تكون إلى ما هو موجود في النفس. وعلى هذا فالإشارة الخارجية إلى ما هو في النفس تكون مجازا باعتبار وجوده في الخارج. والإشارة كما هو معلوم لا تتعلق إلا بما هو معلوم موكّد ويقيني، فالواجب أن تكون هذه العقائد معلومة ويقينية إذن.

(٢) قوله "بيان" يعني تفصيل، لأن البيان لا يكون مجملا. فما يذكره الإمام الطحاوي هنا هو بيان بمعنى أنه يكفي المرء إذا اعتقده، فما نفاه فهو منفي، وما أثبته فهو مثبت.

(٣) العقيدة هي ما يعتقد لذاته، والعقد هو الربط، فالنفس تكون مربوطة بهذه العقائد ربطا أكيدا لا انفكاك له ولا انحلال. فالعقيدة هي الأساس.

قال العلامة العضد في المواقف مع الشرح للشريف الجرجاني(١/٣٨):"(والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل)فإن الأحكام المأخوذة من الشرع قسمان، أحدهما: ما يقصد به نفس الاعتقاد كقولنا الله تعالى عالم قادر سميع بصير، وهذه تسمى اعتقادية وأصلية وعقائد، وقد دوِّن علم الكلام لحفظها. والثاني ما يقصد به العمل كقولنا الوتر واجب والزكاة فريضة وهذه تسمى عملية وفرعية وأحكاما ظاهرية، وقد دون علم الفقه لها."اهـ

ولكن المفهوم مما قلناه هو أن العقائد مقصودة لذاتها

(٤) أهل معناها أصحاب.

فالمقصود بأهل السنة والجماعة هم الذين نصروا السنة واتبعوا الجماعة، فيما مرَّ. ولهذا سموا

على مذهب[1] فقهاء أهل الملة [2]أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول[3] الدين،

بأهل السنة والجماعة.

والذي عليه العلماء أن أهل السنة ليسوا مجسمة ولا مشبهة

أن أهل السنة موجودون منذ كان الرسول عليه السلام موجودا، بل إنهم موجودون منذ ظهور الإسلام، لأنهم هم القائلون بالعقائد الصحيحة، والفهم التام للدين.

(١) المذهب اسم مكان في الأصل من ذهَبَ يذهَبُ ذهابا ومذهبا، ثم استعير للطريقة الطريقة التي تحتوي على الأدلة والأساليب في تقرير المفاهيم. فالإمام الطحاوي ينص هنا على أنه يسير في توضيح العقائد على الطريقة التي اتبعها الإمام أبو حنيفة وصاحباه اللذان سماهما.

(٢) الملة هنا بمعنى الدين. فهولاء الفقهاء الذين سماهم الإمام الطحاوي من أعظم فقهاء الدين. ولا يعني ذلك أنه لا يوجد غيرهم فقيه، بل هؤلاء هم الذين اتبع الطحاوي طريقتهم في ذلك.

(٣) الأصول جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، أو ما يتفرع عنه غيره. وأصول الدين اعتاد العلماء أن يطلقوا هذا الاسم على العقائد، سواءا ما كان منها ثابتا على سبيل القطع أم على سبيل الظن، أقصد ما لم يحتمل الخلاف فيه وما احتمله.

فالطحاوي يقصد بالأصول الدينية ما كان منها مطلوبا الاعتقاد به لذاته، وهو مصطلح العقائد، ولم يفرق بين ما كان منه يحتمل الخلاف وما لم يحتمله.

فأصول الدين إذن عند الإمام الطحاوي ترادف العقائد والفروع ترادف العمليات.

ويمكن أن يقال إن مصطلح الأصول يدخل فيه كل ما كان مقطوعا به، لا يحتمل الخلاف، أو أن الخلاف فيه لا يلتفت إليه لابتنائه على مجرد شبهة، وأما الفروع فبخلافه.

ويدينون به ربَّ [1]العالمين معتقدين بتوفيق الله:

ويمكن أن تقول إن مصطلح الأصول إذا أطلق يدخل فيه أصول العقائد، وأصول الفقه، أي المسائل الأصول من الفقه. وعلى هذا فإذا قيل "أصول الدين" فباعتبار أن الدين شامل للعقائد والفقه، فإنه يدخل فيه الأصليات من العلمين.وبالتالي فيجوز إدراجهما في فن واحد .

(١) أن المعاني الثلاثة لكلمة الرب في اللغة هي السيد المطاع، والمصـــلح للشـــيء،والمالك للشيء. وهي الثلاثة التي ذكرها الإمام الطبري في تفسيره.

وقال الشيخ زاده في حاشيته(٣٢/١): "قال الجوهري رب فلان ولده يربُّه ربا وربه تربيبـــا بمعنى رباه تربية المربوب والمربي. "اهــ

ولو تأملنا في هذه المعاني الثلاثة المذكورة أعلاه لرأينا أنها ترجع إلى أصل واحد، وهو نســـبة التصرف المطلق الذي لا يقيده قيد إلى الله تعالى وحده في تدبير شؤون العالمين.وأنـــت تعلم أن هذا المعنى لا يجوز نسبته إلى غير الله تعالى.

والمشركون لم يكونوا ينسبون إلى الله تعالى وحده هذا المعنى، بل كانوا يشركون معه غيره. والدليل على ذلك ما قاله تعالى في سورة الزمر [ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في مـــا هـــم فيـــه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (٣)]، ففي هذه الآية يبين الله تعالى أن المشركين قد عبدوا غيره، ونسبوا إلى غير الله فعلا من الأفعال، وهو التقريب إلى الله. فهذان أمران اثنان لا يجوز نسبتهما إلا إلى الله تعالى. والمشركون قد نسبوهما إلى غـــير الله تعالى.فكانوا بذلك من المشركين.

وقال العلامة الحلبي في سيرته(١٠/١) أثناء كلامه عن عمرو بن لحيّ أنه:"أول من أدخـــل الشرك في التلبية فإنه كان يلبى بتلبية إبراهيم الخليل عليه الصلاة السلام وهـــي لبيـــك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، فعند ذلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي

معه فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك قال له ذلك الشيخ إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، فقال له ذلك الشيخ تملكه وما ملك، وهذا لا بأس به. فقال ذلك عمرو، فتبعته العرب على ذلك. أي فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده . قال تعالى توبيخا لهم (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)."اهـ

فتوحيد الربوبية إذن أعم من أن يكون مجرد الدعاء، أو مجرد أن يعتقد الواحد بأن الله خالق لهذا العالم، ولو من دون الاعتقاد بأنه مدبره حقيقة على الدوام، أي إن من اعتقد أن الله هو الذي خلق العالم، ثم اعتقد مع ذلك أن غير الله تعالى له تصرف في تدبير شؤون الكون، فإن هذا ليس محققا لتوحيد الربوبية على الإطلاق. وإلا لكان كثير من المشركين موحدين للربوبية.

فهم كانوا مشركين في توحيد الربوبية، ولذلك كانوا مشركين في توحيد الإلهية أي العبادة.

فائدة في معنى كلمة الإله، وأنه لا فرق بين الألوهية والربوبية:

قال الله تعالى في سورة الأعراف:[وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (١٧٢)]

(قال ربكم ورب آبائكم الأولين (٢٦) قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (٢٧) قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (٢٨) قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (٢٩)]

وقال تعالى في سورة القصص:[وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين (٣٨)]

قال العلامة القضاعي ص٨٩:"فأول ما خاطب الله الأرواح قال:ألست بربكم، واكتغى منهم بالإقرار بوحدانيته في الربوبية، وأول ما تسأل الموتى في قبورها من ربك،

إن الله [1]واحد لا شريك[2] له. ولا شيء يعجزه ولا إله غيره

واكتفى منهم بالإقرار بأنه ربهم."اهـ

وأيضا فإن حديث سؤال الملكين في القبر مشهور فإنهما يقولان للميت:من ربك؟ ولا يقولان من إلهك؟ فإذا أجابهما :الله ربي. اكتفيا منه في التوحيد بهذا الجواب و لم يقولا له هذا توحيد الربوبية وهو لا ينجيك.

واعلم أن نفس اللوازم التي تترتب على صفة الربوبية تترتب على صفة الألوهية أيضا، وهذا يعني أن الإله هو المدبر، وقد بينا فيما سبق أن الرب هو المدبر أيضا، فإذن يتحصل أن من اعتقد بوجود آلهة غير الله، فإنه يعتقد بوجود أرباب غير الله تعالى فيستحيل أن يكون موحدا توحيد ربوبية.

هذه بعض الأدلة التي تدل على عدم الانفكاك بين الربوبية والألوهية، واستحالة أن يؤمن واحد بأن الله هو الرب وحده ومع ذلك يعبد غيره،

فإن الله تعالى نسب إلى الكفار أنهم يعتقدون بمجموعة من الآلهة، لا بإله واحد، فهم يجمعون الآلهة، ولا يوحدونها، ولا يتأتى منهم الجمع إلا بعد إيمانهم بالتماثل، وكذلك فإنهم أطلقوا على كل واحد من هذه المعبودات أنه إله، وهذا يعني أن له نفس خصائص الإله الآخر، وهذا هو عين الكفر والشرك في الربوبية.

والقول بأن المشركين كانوا موحدين توحيد ربوبية إنما هو قول باطل، لا أساس له في الدين.

(١) كلمة الله تدل على الواجب الوجود، المنفرد بالكمال، المحتاج إليه كل ما عداه، المستغني عن كل ما سواه. وهي لا تطلق إلا على الله الواحد.

(٢) الواحد فيلزم أن لا يكون له شريك قطعا، لأن الشراكة تستلزم انقسام الملك وعدم التمكن من التصرف فيه إلا بإذن الآخر، وهذا باطل لا يجوز في حق الله تعالى.

قديم[1] بلا ابتداء.

---

(١) ورد هذا الوصف في حق الله تعالى وصفاته فقد قال الإمام أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح قال لقيت عقبة بن مسلم فقلت له بلغني أنك حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال أقط قلت نعم قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم. وهذا الحديث جميع رواته ثقات. فهو لا يترل عن مرتبة الحسن مطلقا. وتأمل كيف وصف النبي صلى الله عليه وسلم السلطان الذي هو صفة لله تعالى بكونه قديما. فيجوز إذن أن يوصف الله تعالى بكونه قديما، لأن وصف وصفه وصف له جل شأنه.

وقد روى الحاكم حديثا فيه اسم القديم أيضا فقال في مستدركه: حدثناه أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان الجلاب بهمدان ثنا الأمير أبو الهيثم خالد بن أحمد الذهلي بهمدان ثنا أبو أسد عبد الله بن محمد البلخي ثنا خالد بن مخلد القطواني حدثناه محمد بن صالح بن هانئ وأبو بكر بن عبد الله قالا ثنا الحسن بن سفيان ثنا أحمد بن سفيان النسائي ثنا خالد بن مخلد ثنا عبد العزيز بن حصين بن الترجمان ثنا أيوب السختياني وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة الله الرحمن الرحيم الآله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الحليم العليم السميع البصير الحي القيوم الواسع اللطيف الخبير الحنان المنان البديع الودود الغفور الشكور المجيد المبدىء المعيد النور الأول الآخر الظاهر الباطن الغفار الوهاب القادر الأحد الصمد الكافي الباقي الوكيل المجيد المغيث الدائم المتعال ذو الجلال والاكرام المولى النصير الحق المبين الباعث المجيب المحيي المميت الجميل الصادق الحفيظ الكبير

دائم[1] بلا انتهاء.

القريب الرقيب الفتاح التواب القديم الوتر الفاطر الرزاق العلام العلي العظيم الغني المليك المقتدر الأكرم الرؤوف المدبر المالك القدير الهادي الشاكر الرفيع الشهيد الواحد ذو الطول ذو المعارج ذو الفضل الخلاق الكفيل الجليل الكريم هذا حديث محفوظ من حديث أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مختصرا دون ذكر الأسامي الزائدة فيها كلها في القرآن وعبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ثقة وإن لم يخرجاه وإنما جعلته شاهدا للحديث الأول.اهـ

ومن يجزم بعدم ورود القديم في النقل، وهو وارد كما ذكرناه.الثانية:الادعاء أن علماء الكلام هم فقط من استعمل هذا اللفظ، وهو باطل لأن كثيرا من المحدثين استعمله أيضا، بل استعمله أيضا ابن تيمية.

(١) قد ثبت عند المحققين أن استعمال لفظ في حق الله تعالى ليس أمرا عقائديا خالصا، بل هو أمر عملي، يكفي فيه دليل يعتمد في مجال الظن، خصوصا إذا عضده معناه، أي إذا لم يكن في معناه إشارة إلى نقص، بل كان دالا على الكمال، فإنه يجوز استعماله في حق الله تعالى. واستعماله إن لم يكن على سبيل التسمية فإنه يكون على سبيل الوصف، وعلى هذا ينبغي أن يكون جائزا، وهو ما اختاره حجة الإسلام الغزالي.

والمقصود بالدوام هنا ليس الدوام بزمان، بل بلا زمان، لأن الزمان هو التغير، والتغير مستحيل على الله تعالى، وكذلك القِدَمُ فليس المراد به القدم الزماني بل المراد به هو نفي الأولية، فهو معنى سلبي أي يسلب وينفي عن الله تعالى ما لا يليق به.

ولهذا المعنى ترى الإمام أبا جعفر الطحاوي قد وضح الدوام بقوله بلا انتهاء، لأن الدوام الذي يكون بالزمان لا بد أن تنتهي فيه آنات زمانية متوالية، وأما دوام الله تعالى فلا انتهاء فيه. وكذلك قال في القدم أنه بلا ابتداء، لأن القدم الزماني لا بد أن تبتدئ فيه آنات زمانية متوالية، وأما قدم الله تعالى فلا ابتداء فيه مطلقا .

لا يفنى ولا يبيد[1] ولا يكون [2]إلا ما يريد. لا تبلغه الأوهام [3]

---

(١) إذا ثبت أن الله تعالى قديم بالمعنى الذي وضحناه، وأنه دائم كذلك، فإنه يلزم من ذلك أنه لا يفنى ولا يبيد، فهذا الحكم لازم لزوما ضروريا على ما سبق.

(٢) يكون هنا بمعنى يوجد، لأنها "كان" التامة التي معناها الوجود والحصـــول، فقولـــه لا يكون إلا ما يريد، معناه "لا يوجد إلا ما يريد"، وهذا المعنى الـــذي يقـــرره الإمـــام الطحاوي من أنه لا يمكن أن يوجد موجود إلا بإرادة الله تعالى، فـــإرادة الله تعـــالى متعلقة بالأمور تعلقا صلوحيا قديما وتنجيزيا حادثا. لأن الطحاوي حصر الكون في الإرادة. ومعنى هذا أن كل موجود مراد لله، فلا يوجد شيء بغير إرادة الله تعـــالى، لا كما يقوله المعتزلة بوجود أمور بإرادة العبد لا بإرادة الله تعالى .

وهذا المعنى الذي وضحناه هنا هو مراد السلف في قولهم ما شاء الله كان وما شاء لم يكن، أو ما لم يشأ لم يكن. فإنه تعالى إذا لم يشأ كونه فإنه يكون قد شاء عدمه .

(٣) البلوغ كما قال العلامة الأصفهاني في مفردات القرآن:"الانتهاء إلى أقصـــى المقصـــد والمنتهى مكانا كان أو زمانا أو أمرا من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه"اهـــ ، فقول العلامة الإمام الطحاوي بأن الأوهام لا تبلغ اللّه تعـــالى، معناه إذن إنها لا تنتهي إليه، ولا تشارف ذلك. والوهم هو الخيال، وهو كما عرفـــه العلامة الشريف الجرجاني: "هو قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوســـط من الدماغ، من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوســـات كشـــجاعة زيـــد وسخاوته، وهذه القوة هي التي تحكم بها الشاة أن الذئب مهروب عنـــه وأن الولـــد معطوف عليه، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلـــها مســـتخدمة إياهـــا استخدام العقل للقوى العقلية بأسرها."اهـــ

وقال العلامة الشريف الجرجاني أيضا في تعريف الخيال:"الخيال هو قوة تحفظ مـــا يدركـــه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشـــترك

ولا تدركه[1]

كلما التفت إليها، فهو خزانة للحس المشترك، ومحلـــه مـــؤخر الـــبطن الأول مـــن الدماغ."اهـــ

فالخيال إذن هو مساعد للوهم، والوهم هو الحاكم بالاستعانة بالحس، وكل منهما لا يمكن أن يتصرف إلا في الأمور المحسوسة. وهذا هو عين المعنى الذي أراده الإمام الطحاوي من نفيه لبلوغ الوهم لله تعالى، أي إن الوهم لا يمكنه أن يحكم على الله تعالى، بنسبته صورة معينة إليه ولا غير معينة،

وقال تاج الإسلام أبو بكر محمد الكلاباذي المتوفى في سنة ٣٨٠هـــ في كتاب التعرف، وهو من العلماء المعتمدين لدى جماهير المسلمين لم يقدح أحد في إمامته ورعايتـــه لأمـــور دينه، وتحققه في العقائد، قال في ص٣٥:

"لا تنازعه الهمم ولا تخالطه الأفكار. ليس لذاته ولا لفعله تكليف، وأجمعوا علـــى أنـــه لا تدركه العيون، ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته، ولا تتبدل أسماؤه، لم يـــزل كذلك ولا يزال كذلك."اهـــ

وروى الحافظ البيهقي في كتابه شعب الإيمان أيضا (١٣٦/١) قال:"أخبرنا أبـــو عبـــدالله الحافظ، أنبا علي بن محمد المروزي، ثنا محمد بم إبراهيم الرازي، ثنا يحيى بـــن معـــاذ قال:"جملة التوحيد في كلمة واحدة، وهي أن لا تتصور في وهمك شيئا إلى واعتقدت أن الله عز وجل هو مالكه من جميع الجهات."اهـــ

والحاصل من ذلك كله أن القاعدة التي اعتمدها أهل السنة هي أن الوهم لا يبلغ الله تعالى، بمعنى أننا لا نستطيع أن نتصور الله تعالى بخيالنا، بأن نفترض له صورة أو شكلا معينـــا أو ليس معينا.

(١) قال الأصفهاني في المفردات:"وأدرك بلغ أقصى الشيء، وأدرك الصبيُّ:بلغ غاية الصِّبا، وذلك حين البلوغ."اهـــ

الأفهام[1] ولا يشبه الأنام[2] حي لا يموت،

وقال الفيروزآبادي في القاموس:"الدَّرَكُ محركة اللحاق... واستدرك الشيء بالشيء حاول إدراكه به. وأدرك الشيء: بلغ وقته وانتهى، وفني."اهـ

فإدراك الشيء لغة معناه اللحوق به والوصول إليه والانتهاء إليه.

(١) الأفهام جمع فهم. قال الفيروزآبادي في القاموس:"فهمه كفرح فهْما ويحرك وهي أفصح، وفَهامة ويكسر وفَهامية: علمه، وعرفه بالقلب."اهـ

فالفهم هو العلم بالقلب إذن في أصل اللغة.

وحاصل قول الطحاوي رحمه الله تعالى "لا تدركه الأفهام" أي لا تعلمه القلوب، والعلم لا يحيط بحقيقة الله تعالى لا ذاته ولا صفاته، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك المعنى عند كلامنا على الوهم. فالعقول لا تستطيع أن تلحق به سبحانه. وهذه العبارة هي في الحقيقة قاعدة أخرى من قواعد أهل السنة، وعلى ذلك مشى المحققون منهم، أي إن ذاته لا يمكن تعقلها والعلم بحقيقتها.

وفي ذلك المعنى روى الإمام البيهقي في الأسماء والصفات فقال ص٢٨٣:"أخبرنا أبو عبدالله الحافظ نا أبو العباس هو الأصم نا محمد بن إسحاق أنا عاصم بن علي نا أبي عن عطاء السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله."اهـ

وقال في شعب الإيمان(١/١٣٦):"أخبرنا حمزة بن عبد العزيز، أنبأ أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، حدثنا محمد بن حاتم الزمّي المؤدب، أنبأ علي بن ثابت، عن الوازع بن نافع، عن سالم عن ابن عمر قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:تفكروا في آلاء الله-يعني عظَمَتَه- ولا تفكروا في الله".اهـ ثم قال البيهقي :هذا إسناد فيه نظر.

(٢) قال صاحب القاموس:"الشِّبْة بالكسر والتحريك وكأمير:المِثل"اهـ، فالمعنى أن أحدا

من الأنام لا يشبهه، قال البابرتي في شرحه على العقيدة الطحاوية ص٤٢:"ولا يشبهه الأنام، وهو كل ذي روح. وقيل جميع الخلائق، وقيل المراد بالأنام البشر وهو الأشبه، لأنه أراد به نفي قول المشبهة والمجسمة حيث وصفوا البارئ بأنه جسم على صورة البشر، وأيضا أراد نفي قول النصارى حيث جعلوا له ولدا وصاحبة تعالى الله عن ذلك. ولا شك أن الولد يشابه الأب، فعلى هذا أفاد قوله "ولا يشبهه الأنام" غير ما أفاد قوله فيما سبق "لا شيء مثله" لأن الأول عام وهذا خاص، فيكون مبالغة في تتريه الله عز وجل عما لا يليق به."اهـ

-ففي الجامع الصحيح سنن الترمذي قال

حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو سعد هو الصنعاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله { قل هو الله أحد الله الصمد } فالصمد الذي لم يلد و لم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ولا شيء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث { و لم يكن له كفوا أحد } قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء

-وفي مستدرك الحاكم

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو جعفر محمد بن علي قالا حدثنا الحسين بن الفضل حدثنا محمد بن سابق حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن المشركين قالوا يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل قل هو الله أحد الله الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله لا يموت ولا يورث و لم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

قيوم [1]لا ينام خالق بلا حاجة[2]، رازق بلا مؤنة[3]، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة[4]

-٣ وروى هذا الحديث أيضا الإمام البيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢ في جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى .

-٤ وروى البيهقي أيضا في شعب الإيمان (١٤٣/١) قال:"أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق أنبأ أبو الحسن الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله (تعلم له سميا)مريم٦٥، هل تعلم له عز وجل مثلا أو شبها."اهـ

(١)قال البابرتي في شرحه ص٤٤:"القيوم هو القائم على كل نفس بما كسبت، وقيل هو الحافظ، وقيل القائم بتدبير أمر الخلق، وقيل القائم بذاته المقيم لغيره. وقوله "لا ينام" نفي للنوم والسنة والسهو والغفلة عنه"اهـ

(٢)الخلق هو الإيجاد بعد العدم. والحاجة هي توقف كمال الواحد على غيره. فالله تعالى هو الغني الحميد، وتعالى الله عن أن يحتاج إلى غيره. وخلقه تعالى المخلوقات ليس حاجته لهم، بل ليعقب خلقه لهم أمره ونهيه على ما سبق في علمه تعالى(وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون) أي إلا لآمرهم بالعبادة. والعبادة كمال للعابد لا للمعبود.

(٣)قال في القاموس:"ومان القوم احتمل مَؤُونتهم أي قُوتَهم.اهـ

(٤)قوله باعث بلا مشقة فيه إشارة إلى البعث، والحياة الأخرى. ونفي المشقة عن الله تعالى في البعث كما هو في الخلق الأول، لأن المشقة توجد في من تنقص قدرته وطاقته إذا أوجد غيره، فيكون غيره لا يوجد إلا بجزء يستنفذه الموجد،

ولذلك فلا تأخذه المشقة ولا يلاقي التعب في خلقه بالمرة.فافهم هذا المعنى فإنه نفيس.

وكلام الإمام الطحاوي فيه إشارة إلى ذلك كله، فهو يقول رحمه الله، إن الله فاعل بلا مشقة، أي مع أن كل فاعل من المخلوقات فهو فاعل بالمشقة والتعب، إلا أن الله تعالى

ما زال بصفاته قديما قبل خلقه[1] لم يزدد بكونهم [2]شيئا لم يكن قبلهم من صفته.

لا يشبه شيئا من ذلك، ولا يشبهه شيء، فهو فاعل بلا مشقة.

(١) أي إن الله تعالى قديم بذاته وصفاته، فلم يتصف جل وعز بشيء حادث، ولا بصفة حادثة، ومعنى الحادث هو الموجود بعد العدم. فالله قديم وصفاته قديمة، واعلم أن لفظ القديم لا يطلق إلا على الأمر الوجودي، فكأن الإمام الطحاوي أشار بكلامه هذا إلى أن صفاته تعالى وجودية خلافا للمعتزلة ومن وافقهم في قولهم بأن صفاته تعالى ليست وجودية، وبالأولى أن يكون إشارة إلى الرد على قول الفلاسفة الذين يبالغون في هذا الأمر فينفون جميع الصفات الوجودية على الإطلاق.

وانتبه إلى قوله "ما زال بصفاته قديما بصفاته قبل خلقه"، فقوله قبل خلقه، دليل على أنه يعتقد أن الله تعالى كان ولم يكن شيء معه، وإشارة إلى الرد على من خالف في ، فعبارة الإمام الطحاوي هذه إذن لا تصح إلا على قول أهل السنة والجماعة الأشاعرة .

(٢) كونهم أي كون المخلوقات، والمقصود بذلك وجودهم، ووجود المخلوقات هو صفة من صفاتهم هم لا من صفات الخالق جل شأنه. فإذا خلقهم جل وعز فإنه لا يستفيد من خلقه لهم أي صفة له، بل إن صفاته تبقى كما كانت قبل أن يخلقهم، وذلك لأن الله لو استفاد بخلقه للمخلوقات أي صفة، لكانت هذه الصفة إما نقصا أو كمالا، ويستحيل أن تكون نقصا، فيبقى أن تكون كمالا، ولكن إذا كان ما استفاده الله بسبب خلقه لهم كمالا له، للزم عن ذلك أن كماله مستفاد من المخلوقات، وهذا.

هذه هي عقيدة أهل السنة في الله عز وجل. وهي ثابتة لله تعالى من حيث هو غني عن العالمين، فلا يصح مطلقا القول بأن الله تعالى لما كان موجودا قبل خلقه لم يكن متصفا بصفة معينة، ثم لما أوجد خلقه اتصف بصفة جديدة. فإن كل من يقول بمثل ذلك، فإنه يلزمه القول بافتقار الله تعالى إلى مخلوقاته.

وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا(١)

ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري(٢)

له معنى الربوبية ولا مربوب(٣)،

---

(١) هذا القول تفريع على ما سبق، فالله تعالى كما كان موصوفا بصفاته منذ الأزل، فإنه يبقى موصوفا بهذه الصفات إلى الأبد. ولا يطرأ عليه تغير ولا حدوث صفة. فلا يتصف الله تعالى بغير ما كان منذ الأزل موصوفا به .

ولو كان الله يجوز اتصافه بالحادث لكان محتاجا إلى الحادث.

(٢) إن الله تعالى خالق، أي متصف بكونه خالقا. وكونه خالقا هو حاصل منذ الأزل، وفي الأزل لم يكن ثم مخلوق، إذن فالله تعالى خالق وقبل وجود المخلوقات. والمخلوقات لم تكن لتوجد إلا بخلقه لها. إذن هو تعالى خالق وقبل أن يخلق الخلق. وكونه خالقا، صفة كمال له تعالى، ولا يجوز أن يقال إنه لا يكون خالقا إلا بعد وجود المخلوقات، إلا على معنى أنه لا يكون خالقا بالفعل إلا بعد وجود المخلوقات، فإن من يقول بذلك يشترط لاسم الفاعل حصول الفعل، لا مجرد القدرة على تحصيله. فمن أراد هذا المعنى فهو صحيح. وهذا راجع إلى اللغة. ومن قال بذلك فإنه يقول بأن الخلق بالفعل ليس كمالا له تعالى، لأنه تعالى لم يزل كاملا، تاما، وفي الأزل لم يكن الخلق موجودين. بل خلق المخلوقات كمال لهم لا للخالق.فافهم.

(٣) عبارة الطحاوي هذه أصل عظيم قال به أهل السنة، والطريقة التي يورده بها هي طريقة الأحناف رضي الله تعالى عنهم. فالربوبية لها معنى، ومعناها هو القدرة على الخلق، والتدبير، وسائر خصائص الربوبية كما وضحنا بعضها في أول تعليقاتنا هذه. وهذه المعاني ثابتة لله تعالى قبل وجود أي مربوب مطلقا، وتنبه إلى عمق ودقة عبارته هذه،

ومعنى الخالق ولا مخلوق[1]

وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم[2]

فهو يصرح فيها بأن الله تعالى كان موجودا في حال لم يكن معه فيها أي مخلوق، ولا أي مربوب، وهو معنى قوله "ولا مربوب"، فالله تعالى موجود قبل المخلوقات كلـــها، ومعنى الربوبية لم يكتسبه الله تعالى من وجود المخلوقات، و لم يطرأ عليه بعـــد خلقـــه للمربوبين. فإن هذا ينافي كماله وغناه المطلق، كما وضحناه لك فيما سبق.

(١) وقوله هذا أيضا، له معنى قريب من معنى العبارة السابقة، بل هو أخص منها، فالخالق هو الله تعالى، و لم يتصف بكون خالقا، بعد أن أوجد المخلوقات، بل هو تعالى خالق وقبل الخلق، وذلك لأن صفة الخلق صفة ثابتة له جل شأنه، قبل وجود المخلوقـــات، فبهذه الصفة أوجد المخلوقات، ويستحيل أن يكون قد اكتسبها منهم، بل هم اكتسبوا وجودهم منه جل شأنه ..

ومعنى الخالق هو غير نفس الخلق، لأن الخلق فعل من أفعال الله تعالى، فهو تعالى خالق وقبل الخلق، كما إنه تعالى رب وقبل وجود المربوبين.

٥- وقال تعالى في سورة الأنعام:[ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كـــل شـــيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٢][

٦- وقال تعالى في سورة العنكبوت:[أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيـــده إن ذلك على الله يسير (١٩][

(٢) هذا إكمال من الطحاوي لتوضيح القاعدة السابقة، وهي كون صـــفات الله ليســـت مستمدة من أفعاله جل شأنه، فإن أفعاله حادثة وصفاته قديمة. ولذلك فإنه يتصف بأنه محيي الموتى وقبل إيجاد المخلوقات بل وقبل إماتتهم، وكذلك يسمى خالقا وقبـــل أن

ذلك بأنه على كل شيء قدير[1]، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير.

لا يحتاج إلى شيء[2]

يخلقهم. والسبب في تسميته بهذه الأسماء هو قيام الصفات التي بها يكون منشأ الخلق وهي القدرة والإرادة والعلم، وقيام هذه الصفات بذاته جل شأنه أزلي، ولا يعتمد على إيجاد الله تعالى لهذه المخلوقات، لأن نفس إيجاده مشروط بوجود هذه الصفات له.

ومن هذا نستفيد معنى في غاية الإفادة وهو أن الله تعالى لا يستفيد اتصافه بالصفات ولا تسميته بالأسماء من الأفعال التي يقوم بها، بل من الصفات التي يتصف بها. ولهذا فإن أسماءه وصفاته تعالى أزلية، مع كون أفعاله حادثة. فأفعاله ناشئة عن الصفات، وليست صفاته ناشئة عن أفعاله .

(١) قوله ذلك تعليل للحكم الذي وضحه سابقا، وهو كون الله تعالى خالقا وقبل المخلوقات، وربا وقبل المربوبات. فكلمة ذلك تدل على العلة التي من أجلها حكم الطحاوي بذلك الحكم، والعلة كما تراها هي كون الله تعالى متصفا بأنه على كل شيء قدير، فالقدرة منشأ كل تلك الصفات، وهي صفة قديمة قائمة بالله تعالى. ولأجل اتصافه تعالى بالقدرة فهو الرب والخالق والرازق المحيي والمميت..الخ، فكل هذه الصفات راجعة إلى القدرة كما ترى، فلو لم يكن تعالى قديرا لما صح اتصافه بأي من هذه الصفات.

(٢) لاحظ أيها القارئ النبيه كيف عقب الإمام الطحاوي القواعد السابقة بهذه العبارة، التي تنص على أن الله تعالى لا يحتاج إلى شيء، وهذا يعني بوضوح أن الإمام الطحاوي يريد أن يقول إن من يخالف العقائد السابقة على ما تقدم شرحها، فإنه يلزمه أن الله تعالى محتاج إلى غيره من المخلوقات. وهذا كفر بالله لا شك ولا ريب .

)ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1] (

خلق الخلق بعلمه[2]،

وأدلة كون الله تعالى غنيا كثيرة منها

قوله تعالى في سورة النساء:

]-ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا (١٣١)[(

والآيات الدالة على هذا المعنى في القرآن كثيرة.

(١) بعد أن أشار الإمام الطحاوي إلى بعض القواعد في العقائد، كما سبق بيانه، ونبه إلى أدلتها العقلية، الإجمالية، ذكر هنا دليلا نقليا محكما لا شك في دلالته على ما سبق بيانه وتفصيله، وهو قوله تعالى في سورة الشورى [فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١)]، فهذه الآية من أقوى الآيات في تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات من كل الوجوه. وهي آية محكمة كما ترى .

(٢) الباء في قوله "بعلمه" للإلصاق، والمعية، ومعنى ذلك أن الله تعالى خلق الخلق، وهو عالم بما خلق، وذلك لأنه لا يمكن أن يوجد فعل الخلق من واحد بلا كونه عالما بمخلوقاته. فكونه خالقا يستلزم كونه عالما ضمنا. ولذلك قال الله تعالى في سورة الملك:[ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (١٤)]، ففي هذه الآية المباركة، ينص الله تعالى على أنه يعلم المخلوقات، ولا تظن أنه يفهم من الآية أنه تعالى لا يعلم إلا ما يخلق، بل إنها تدل على أنه بعدما ثبت أن الله تعالى هو الخالق، فإنه يجب أن يثبت أيضا أنه عالم بما خلق.

وقدر لهم أقدارا، وضرب لهم آجالا، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم.

أمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا، وكلهم متقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله.

وهو متعال عن الأضداد [١]والأنداد[٢]، لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره، آمنا بذلك كله وأيقنَّا أن كلا من عنده.

وأن محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى

وأنه خاتم الأنبياء[٣]، وإمام الأتقياء.

---

(١) قال في القاموس:" الضِّدُّ، بالكسر، والضَّديدُ: المِثْلُ، والمُخالِفُ، ضِدٌّ، ويكونُ جَمْعاً، ومنه: {ويكونونَ عليهم ضِدًّا}. وضَدَّه في الخُصومَةِ: غَلَبَه، وـ عنه: صَرَفَه، ومَنَعَه برِفْقٍ، وـ القِرْبَةَ: مَلأَها. وأضَدَّ: غَضِبَ. وبنو ضِدٍّ، بالكسر: قبيلةٌ من عادٍ. وضادَّه: خالَفَه. وهما مُتضادَّانِ."أهـ

(٢) الأنداد جمع نِدٍّ وهو المثل، كما قال في القاموس

(٣) قال الله تعالى في سورة الأحزاب (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[٤٠].

وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين.

وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء.

وإن القرآن كلام الله[1]،

وروى البخاري في صحيحه عن مطعم عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب.

وزاد الترمذي والطبراني في معجمه الكبير في روايتها عنه: وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وفي الباب عن قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. وفي رواية ابن حبان عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمه وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي. وقد سماه الله رؤوفا رحيما.

(١) يطلق القرآن على ما في الصدور وعلى ما في اللوح المحفوظ وعلى المسموع بالصوت والحرف، قال تعالى في سورة العنكبوت(بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم)٤٩، وقال في سورة البروج(بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)٢١،٢٢، وقال في سورة الأحقاف(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن)٢٩.

قال الله تعالى في سورة المجادلة(ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨.(

وقال تعالى في سورة الأعراف:(اذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين (٢٠٥(

منه بدا [١] بلا كيفية [٢]

وروى البيهقي أيضا في سننه الكبرى عن سليمان بن يسار أن بن عمر رضي الله تعالى عنهما زوج ابنا له ابنة أخيه عبيد الله بن عمر وابنه صغير يومئذ و لم يفرض لها صداقا فمكث الغلام ما مكث ثم مات فخاصم خال الجارية بن عمر إلى زيد بن ثابت فقال بن عمر لزيد إني زوجت ابني وأنا أحدث نفسي أن أصنع به خيرا فمات قبل ذلك و لم يفرض للجارية صداقا فقال زيد فلها الميراث إن كان للغلام مال وعليها العدة ولا صداق لها.

وفي مسند الإمام أحمد عن بن عباس قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلى من ان أتكلم به قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة.

(١) بدا بلا همز تعني مطلق الظهور لأمر، وظهور أمر يستلزم أنه كان موجودا، ولكنه ظهر للغير بعد أن كان خافيا عليه .وأما بدأ الشيء، فمعناه بلا توقف وجوده بعد كونه غير موجود. وهذا الكلام يدل دلالة قاطعة على أن كلام الله تعالى قديم لا بداية له، ولكن ظهوره هو المحدث. وظهور الشيء غير نفس الشيء. فافهم، فإن هذه الإشارة تحل كثيرا من إشكالات المجسمة.

(٢) قال العلامة الأصفهاني: كيف لفظ يسأل به عما يصح أن يقال فيه شبيه وغير شبيه، كالأبيض والأسود والصحيح والسقيم، ولهذا لا يصح أن يقال في الله عز وجل كيف."اهـ

والحاصل كما نص عليه الشريف الجرجاني وغيره من العلماء فالكيف هو الهيئة القارة للشيء، والمقصود بالهيئة هي الصورة، والشكل المعين. وهي هنا الصوت والحرف، وأن يحتاج الله تعالى للفم واللسان واللهوات وغير ذلك من صفات الحوادث. فكل

قولا[1]، وأنزله على رسوله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية[2] فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى (سأصليه سقر) فلما أوعد الله بسقر لمن قال (إن هذا إلا قول البشر) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر[3] ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر

فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر.

والرؤية[4] حق لأهل الجنة[1]

ذلك منفي في حقه تعالى وهو من قبيل تشبيهه تعالى بالمخلوقات.

(١) كلمة "قولا" متعلقة بقوله بدا، بمعنى أن الكلام لما بدا من الله تعالى بدا منه قـولا، لا معنى فقط، فالحق إذن أن القرآن بدا من الله تعالى كما أنزل على سـيدنا محمـد لم يتصرف فيه أحد من الخلق.

(٢) هذا الكلام يؤكد أن المراد بكلام الإمام الطحاوي هو نفي أن يكون اللفظ القرآن قد فعله واحد من المخلوقات، ولذا فهو ينص على نفي ذلك.

(٣) هذه الفقرة كلها تؤكد لك ما بيناه من معاني كلام الإمام أبي جعفر الطحاوي فيمـا سبق، فمراده رحمه الله هو نفي أن يكون القرآن قد ركب حروفه وأوجد كلماته أحد من المخلوقات.

(٤) قال العلامة الأصفهاني في المفردات: الرؤية إدراك المرئي، وذلك أضرب بحسب قـوى

بغير إحاطة ولا كيفية[٢]

النفس. والأول:بالحاسة وما يجري مجراها، نحو لترون الجحيم ثم لترونها عين الـــيقين) وقوله تعالى(ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وقوله(فسيرى الله عملكم) فإنه مما أُجرِيَ مجرى الرؤية الحاسة، فإن الحاسة لا تصح على الله تعالى عن ذلك، وقوله(إنـــه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم). والثاني:بالوهم والتخييل نحـــو أرى أن زيـــدا منطلق، ونحو قوله(ولو ترى إذ يَتوفى الذين كفروا). والثالث: بالتفكر نحو(إني أرى ما لا ترون) والرابع: بالعقل وعلى ذلك قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) وعلى ذلك حمل قوله(ولقد رآه نزلة أخرى).اهـــ

(١) أي رؤية الله تعالى فهي حق بمعنى أنها واقعة لأهل الجنة.

أما وقوعها لأهل الجنة فقد دل على ذلك النصوص التالية:

منها ما رواه الإمام النسائي في سننه الكبرى عن جرير قال خرج علينا رسول لله صـــلى الله عليه وسلم ليلة البدر فنظر إلى القمر فقال إنكم ترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته.

وقد رواه الإمام البخاري في صحيحه عن جرير قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ { وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب .

ورواه عنه أيضا النسائي في سننه الكبرى. ورواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري.

(٢) الباء في قوله بغير، متعلقة بقوله والرؤية، أي إن الرؤية تكون بغير إحاطة ولا كيفيـــة، فيجب نفي الكيف عن الرؤية، وقد سبق بيان معنى الكيف، ومضى ذكر أنه يجب نفي الكيف عن الله تعالى وصفاته. وأما الإحاطة، فلا يحيط بجلال قدر الله تعالى إلا هو جل شأنه، فلا يجوز أن يتوهم واحد أن الرؤية المشار إليها تكشف عن جميع صـــفات الله

كما نطق به كتاب ربنا(وجوه يومئذ ناضرة[٢٢] إلى ربها ناظرة[٢٣[1] ([وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في

تعالى، فلا يجوز أصلا الإحاطة به جل شأنه، لانتفاء ذلك عنه.

(١) هذه الآيات من سورة القيامة، فقد اختلف فيها أهل التأويل كما قال الإمام الطبري، روى عن عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد: أي تنظر إلى ربها نظرا. وروى بسنده عن الحسن قال:حسنة إلى رَبِّها ناظِرَةٌ قال: تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق. وروى عن عطية العوفي، في قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ قال: هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم، فذلك قوله: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ.

وذكر الإمام الطبري أن آخرين قد خالقوا في ذلك فقال: وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنها تنتظر الثواب من ربها. وروى ذلك بسنده عن منصور، عن مجاهد، قال: كان أناس يقولون في حديث، «فيرون ربهم» فقلت لمجاهد: إن ناسا يقولون إنه يُرَى، قال: يَرى ولا يراه شيء.

ثم قال الإمام الطبري: "وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرِمة

قال العلامة كمال الدين البياضي الحنفي في "إشارات المرام من عبارات الإمام" ص٢٠١: "(قال في شرح الوصية والفقه الأكبر:ولقاء الله تعالى) أي كونه مرئيا (لأهل الجنة) زيادة في إكرامهم فيها (حق) أي ثابت بالدلائل القطعيات من بينات الآيات، ومشهورات الروايات واقع (بلا كيفية) أي ملابسا لعدم الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام والأعراض لما سيأتي من البيان(ولا تشبيه) له تعالى بشيء من المخلوقات (ولا جهة) له ولا تحيز في شيء من الجهات، وفيه إشارات:

وقال الإمام السمرقندي في الصحائف: اتفق أهل السنة على جواز رؤية الله تعالى مترها عن

ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه[1]

ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسا تائها، شاكا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا.

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم[2]، أو تأولها بفهم[1]، إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى

المسامتة والمحاذاة والمكان خلافا لجميع الفرق. والمشبهة والكرامية وإن جوزوا رؤية الله تعالى .

وهذا البحث مما ليس للعقل استقلال في إثباته وغاية سعينا ليست إلا بيان الجواز وهذا القدر كاف ههنا .

(١) لما أثبت الإمام الطحاوي أصل الرؤية، بلا كيف ولا تشبيه، صرح بأنه لا يجوز لواحد أن يتوهم أنه يرى ربه كما يرى بقية الأشياء، فلا يجوز توهم الرؤية على نم معين بأن يقال إنها تكون مع كون الله تعالى مقابلا لنا.

(٢) أي إن الذي يدعي أن الرؤية لله تعالى تكون عن طريق حصول صورته فينا بهيئة

الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين، ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زلّ ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية [2] وتعالى [3]الله عن الحدود والغايات[4]

وكيفية معينة، فإن هذه الرؤية ليست الرؤية التي يصح إثباتها لله تعالى، وكيف يكون الأمر كذلك، والله تعالى منزه عن الكيف والصورة ؟!

(١) ما كان كذلك فالأصل أن نتوقف فيه ولا نبادره بأفهامنا لأن ذلك يكون مرده إلى الخطأ والضلال.

(٢) هذه الفقرة تمثل منهجا يتفرد به أهل السنة والجماعة في التفويض لله والاعتراف أنه ليس كمثله شيء.

(٣) قال في القاموس: التعالي الارتفاع.اهـ.

(٤) الحدود جمع حدٍّ، وحد الشيء هو طرفه ونهايته. قال في القاموس: الحَدُّ: الحاجزُ بينَ شَيْئَيْنِ، ومُنْتَهى الشيءِ، و من كُلِّ شيءٍ: حِدَّتُهُ، و مِنْكَ: بأسُكَ، و من الشَّرابِ: سَوْرَتُهُ، والدَّفْعُ، والمَنْعُ، كالحَدَدِ، وتأديبُ المُذْنِبِ بما يَمْنَعُهُ وغيرَهُ عن الذَّنْبِ، وما يَعْتَرِي الإنْسانَ من الغضبِ والنَّزَقِ، كالحِدَّةِ، وقد حَدَدْتُ عليه أحِدُّ، وتمييزُ الشيءِ عنِ الشيءِ، وداري حَديدَةُ دارِهِ، ومُحادَّتُها: حَدُّها كحَدِّها.اهـ

وأما قوله الغايات فهو جمع غاية، وغاية الشيء هي منتهاه قال في القاموس: والغاية المَدَى.اهـ

والحاصل كما رأيتَ مما هو مذكور في كتب اللغة أن حدَّ الشيء هو طرفة وغايته ونهايته التي تميزه عن غيره. وهذا كما هو معلوم لا يستلزم أن كل ما هو متميز عن غيره فيجب أن يكون له طرف ونهاية وغاية، وحدٌّ، بل كل ما هو محدود فهو متميز عن

والأركان والأعضاء والأدوات[1]

غيره، ولا يقال أن كل ما هو متميز عن غيره فهو محدود. فافهم هذا فـإن المجسـمة عندما لم يتنبهوا له وقعوا في التشبيه.

ولهذا فقد نبه إليه الإمام الطحاوي فنفى الحدود عن الله تعالى، ولكنه لم ينف التمايز، فـإن تميز الله تعالى عن خلقه لا يكون بالحد ولا بالنهاية، ولا بالغاية.

وتأمل قوله "وتعالى الله عن الحدود" فهو ينفي مطلق الحدود عن الله تعالى، ولا ينفي حـدا معينا، بل كل ما كان من قبيل الحدود فإنه منفي عنه جل شأنه. وهذا يعم الحد المكاني والزماني. ويعم الحد المعنوي أيضا، بمعنى أن قدرته تعالى ليست محدودة، بل هي متعلقة بجميع الممكنات، وعلمه تعالى متعلق بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنـات. وكذلك فيما يتعلق بباقي الصفات العلية.

(١) قال في القاموس: والرُّكْنُ. بالضم: الجانبُ الاقْوَى.اهـ

وقال الفيومي في المصباح المنير: وركن الشيء جانبه، والجمع أركان مثل قفـل وأقفـال، فأركان الشيء أجزاء ماهيته، والشروط ما توقف صحة الأركان عليها. اهـ

وأما معنى العضو فقد قال في القاموس: العُضْو، و بالضم والكسر: كلُّ لَحْمٍ وافِرٍ بِعَظْمِـهِ. والتَّعْضِيَةُ: التَّجْزِئَةُ، والتَّفْرِيقُ، كالعَضْوِ.اهـ

وقال الفيومي في المصباح المنير: والعضة القطعة من الشيء، والجزء منه، ولامها واو محذوفة والأصل عضوة، والجمع عضون على غير قياس، مثل سنين، والعضو كل عظم وافـر من الجسد، قاله في مختصر العين. وضم العين أشهر من كسرها، والجمـع أعضـاء. وعضَّيت الذبيحة بالتشديد: جعلتها أعضاء.اهـ

فهذا ما يتعلق بالمعاني لالغوية لهذه الألفاظ الثلاثة، وأنت ترى أن جميعها يدور على معـنى واحد هو الجزء للذات والتبعيض عليها. والإمام الطحاوي قد نفى جميع هذه الألفاظ من حيث ما تدل عليه من المعاني المذكورة، إذن تعرف من هذا أن أهل السنة ينفـون

لا تحويه الجهات [١]الست [٢] كسائر المبتدعات [٣]

والمعراج حق[١]، وقد أُسري [٢]بالنبي صلى الله عليه وسلم بشخصه [٣]في اليقظة إلى السماء[٤]، ثم إلى حيث شاء الله من العلا،

أن يكون الله تعالى مركبا من أعضاء وأجزاء، وآلات. ونحن نرى ههنا أن الإمام الطحاوي قد نفى مطلقا الأعضاء والأركان والأدوات، و لم يتوقف في ذلك.

(١) الجهات جمع جهة. قال ابن فارس في معجم المقاييس :الواو والجيم والهاء أصل واحد يدل على مقابلة لشيء، والوجه مستقبل كل شيء، يقال وجه الرجل وغيره، وربما عبر عن الذات بالوجه..وواجهت فلانا جعلت وجهي تلقاء وجهه....والوِجهة كل موضع استقبلته.اهـ

وقال الفيروزآبادي في القاموس: والوُجْهُ، بالضم والكسر: الجانِبُ، والناحِيَةُ.اهـ وقال: والجِهَةُ، بالكسر والضم: الناحِيةُ، كالوَجْهِ والوِجْهَةِ، بالكسر، ج: جِهاتٌ.اهـ

(٢) الستُّ، صفة للجهات، وذلك لأن الجهات والنواحي التي يتوجه إليها الإنسان في حركته هي ست، تابعة لحركته، وهذه الجهات هي الأمام والخلف والفوق والتحت واليمين والشمال. فالحاصل من كلام الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى أن الله لا يقال إنه في أي جهة من الجهات الست.

(٣) يعني أن كل شيء من المبتدعات أي المخلوقات فهو في جهة وله جهة، وأما الله تعالى فلما كان ليس كمثله شيء، فهو جل شأنه موجود بلا جهة ولا ناحية.

وهذا الكلام يفهم منه أن الله تعالى لا يجوز أن يكون في جهة ولا في جهات، فالإمام الطحاوي يرد على كل من القائلين بوحدة الوجود والقائلين بالتجسيم.

ونحن إذ وصلنا إلى هذا الحد نحب أن نذكرك بقول الإمام الطحاوي المار آنفا:" ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر" .

وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى(ما كذب الفؤاد ما رأى) فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى[٥]

---

(١) قال صاحب الجوهري في الصحاح:عَرَجَ في الدرجة والسلم يعرُجُ عُروجا، إذا ارتقى. وقال: والمعراج السلم ومنه ليلة المعــراج والجمــع معــارج ومعــاريج، والمعــارج المصاعد.اهــ

(٢) قال الفيومي في المصباح: سريت الليل وسريت به سَريا والاسم السِّــراية إذا قطعتــه بالسير وأسريت بالألف لغة حجازية، ويستعملان متعديين بالباء إلى مفعــول فيقــال سريت بزيد وأسريت به.اهــ

(٣) قال الفيومي في المصباح: والشخص سواد الإنسان تراه من بعد،ثم استعمل في ذاتــه، قال الخطابي ولا يسمى شخصا إلا جسم مؤلف له شخوص وارتفاع.اهــ

(٤) قال الفيومي في المصباح:سما يسمو سموا علا ومنه يقال سمت همته إلى المعالي إذا طلب العز والشرف. والسماء المظلة للأرض، وقال السماء السقف وكل عال مظل سماء حتى يقال لظهر الفرس سماء.اهــ

(٥) والإسراء كما مضى تفسيره، هو المسير في الليل، وقد أسرى الله تعالى بسيدنا محمــد عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس ثم عرج به وصعد به مــن هنــاك إلى السموات العلا وإلى حيث شاء. هذا الأمر لا ينبغي أن ينكره واحد ممن ينتســب إلى الدين الإسلامي بحجة أو بدون حجة، فلا يجوز القول بأن هذا الانتقال يســتحيل في ليلة واحدة! بل إن هذا مما يجوز عقلا ولا يستحيل إلا في العادة البشرية، ففي ذلــك الزمان كان قطع المسافة من مكة إلى بيت المقدس في ليلة مستحيلا عادة، وأما في أيامنا هذه فإننا نقطع أكثر منها في ساعة، فلا وجه لاستحالة ذلك من هذا الجانب إذن .

قال الإمام العلامة التفتازاني في شرح العقائد النسفية ص١٩٤:"فالإسراء من المسجد الحرام إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتاب، والمعراج من الأرض إلى السماء مشهور ومــن

والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته حق [1] والشفاعة [2] التي ادخرها لهم

السماء إلى الجنة أو العرش أو غير ذلك آحاد. ثم الصحيح أنه عليه السلام إنما رأى ربه بفؤاده لا بعينه. (ما كذب الفؤاد ما رأى).

(١) روى الإمام البخاري: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي.

وروى أيضا عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال إني فَرَطُكُمْ وأنا شهيد عليكم إني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت خزائن مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف بعدي أن تشركوا ولكن أخاف أن تنافسوا فيها .

(٢) أصل الشفاعة في اللغة كما قال الجوهري من الشفع وهو خلاف الوَتْرِ، وهو الزوج، وقال واستشفعته إلى فلان أي سألته أن يشفع لي إليه، وتشفعت إليه في فلان فشفَّعني فيه تشفيعا.اهـ. وأما الفيومي فقد زاد تدقيقا في معناها فقال في مصباحه:"شفعت الشيء من باب نفع ضممته إلى الفرد. وشفعت في الأمر شفعا وشفاعة طالبت بوسيلة أو ذمام، واسم الفاعل شفيع والجمع شفعاءمثل كريم وكرماء وشافع أيضا."اهـ

ومن هنا فإننا يمكن أن نرجع المعنى الشرعي للشفاعة إلى الأصل اللغوي، ولا يكون من باب النقل عن المعنى، بل هو استعمال في أصل المورد، فإن الشفاعة في العرف كما قال البيجوري ص١٨٦:"سؤال الخير من الغير للغير، وشفاعة المولى عبارة عن عفوه."اهـ . وأصل الشفاعة ثابتة في الشرع وقد نص الإمام التفتازاني في شرح العقائد النسفية ص١٧٥ أن أصل العفو والشفاعة ثابت بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع. وقال الإمام السيوطي في البدور السافرة في أمور الآخرة ص٣٤٣:"أخرج الشيخان عن

حق[1]، كما روي في الأخبار.[1]

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه خطب فقال: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم وبالدجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون عذاب القبر، ويكذبون الشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا"اهـ.

وهي على أقسام كما قال الشيخ أحمد الدردير في شرحه على خريدته ص٧٠ على أنواع :
الأول: شفاعته ﷺ في فصل القضاء لإراحة الخلق من طول الوقوف مشقته وهي مختصة به . ﷺ **الثاني** شفاعته في إدخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي وهي مختصة به . **الثالث**: الشفاعة فيمن يستحق دخول النار أن لا يدخلها، قال عياض وليست مختصة به، وتردد النووي أي لأنه لم يرد تصريح بذلك .**الرابع**: الشفاعة في إخراج قوم من النار ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة وصالحو المؤمنين .**الخامس**: الشفاعة في زيادة الدرجات. وجوز النووي اختصاصها به عليه الصلاة والسلام .**السادس**: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود في النار.

قال السيوطي في البدور السافرة ص٣٤٧:"وأخرج الشيخان عن جابر بن عبدالله سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله تبارك وتعالى يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة".

وقال أيضا في ص٣٤٦:"وأخرج أحمد والطبراني بسند لا بأس به عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال :"إن الله تبارك وتعالى قال يا محمد إني لم أبعث نبيا ولا رسولا إلا وقد سألني مسألة أعطيتها إياه، فسل يا محمد تعط. قلت مسألتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة، فقال أبو بكر: يا رسول الله وما الشفاعة. قال:أقول يا رب شفاعتي التي اختبأت عندك، فيقول الرب تعالى: نعم، فيخرج ربي بقية أمتي من النار فيدخلهم الجنة."اهـ

(١) هذا إشارة إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ومنه ما رواه البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو

والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق.

وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه .

بها وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل نبي سأل سؤلا أو قال لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

(١) روى الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فقال صلى الله عليه وسلم إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

وروى ابن حبان في صحيحه عن عوف بن مالك قال عرس بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافترش كل رجل منا ذراع راحلته قال فانتبهت في بعض الليل فإذا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس قدامها أحد فانطلقت أطلب رسول لله صلى الله عليه وسلم فإذا معاذ بن جبل وعبد الله بن قيس قائمان فقلت أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا لا ندري غير أنا سمعنا صوتا بأعلى الوادي فإذا مثل هدير الرحى قال فلبثنا يسيرا ثم أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه أتاني من ربي آت فيخبرني بأن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة وإني اخترت الشفاعة فقالوا يا رسول الله ننشدك بالله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك قال فأنتم من أهل شفاعتي قال فلما ركبوا قال فإني أشهد من حضر أن شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئا من أمتي.

والأحاديث في الشفاعة كثيرة جدا.

وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميسر لما خلق له[١]، والأعمال بالخواتيم[٢]، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله.[٣]

---

(١) هذا إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري عن عمران قال قلت يا رسول الله فيما يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له .

وفي السنن الكبرى للبيهقي عن عمران بن حصين قال قيل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من النار قال نعم قال ففيم يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه عن سهل أن رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فقال من أحب أن ينظر إلى الرجل من أهل النار فلينظر إلى هذا فأتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه فأقبل الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسرعا فقال أشهد أنك رسول الله فقال وما ذاك قال قلت لفلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار الأعمال بالخواتيم.

(٣) روى البخاري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكا يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فإذا أراد أن يقضي خلقه قال أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الرزق والأجل فيكتب في بطن أمه. وله في رواية أخرى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله وكل في الرحم ملكا فيقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فإذا أراد أن يخلقها قال يا رب أذكر يا رب

وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة للخذلان، وسلم للحرمان ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلون﴾. فمن سأل لم فعل فقد ردَّ حكم الكتاب ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين .(١)

فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم، لأن العلم علمان، علم في الخلق موجود، وعلم

أنثى يا رب شقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه.

وفي مسند الإمام أحمد ن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقرت النطفة في الرحم أربعين يوما أو أربعين ليلة بعث إليها ملكا فيقول يا رب ما رزقه فيقال له فيقول يا رب ما أجله فيقال له فيقول يا رب ذكر أو أنثى فيعلم فيقول يا رب شقي أم سعيد فيعلم. وفيه قريب من هذا اللفظ عن أنس أيضا.

(١) روى الترمذي في جامعه الصحيح عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر.

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أخوف ما أخاف على أمتي الاستسقاء بالأنواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر لم يرو هذا الحديث عن فطر إلا محمد ولا يروى عن جابر بن سمرة إلا بهذا الإسناد.

في الخلق مفقود.فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود.

ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم[1]، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما، ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل ولا مغير. ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وبربوبيته، كما قال تعالى في كتابه(وخلق كل شيء فقدره تقديرا)[الفرقان:٢]، وقال تعالى(وكان أمر الله قدرا مقدورا)[الأحزاب:٣٨.[

---

(١) روى الحاكم في مستدركه عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أول ما خلق الله القلم خلقه من هجا قبل الألف واللام فتصور قلما من نور فقليل له أجر في اللوح المحفوظ قال يا رب بماذا قال بما يكون إلى يوم القيامة فلما خلق الله الخلق وكل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم فلما قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم وقيل هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون عرض بالكتابين فكانا سواء قال بن عباس ألستم عربا هل تكون النسخة إلا من كتاب هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيما، وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرا كتيما، وعاد بما قال فيه أفاكا أثيما.

والعرش [١] والكرسي [٢]حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه.

ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وكلم موسى تكليما، إيمانا وتصديقا وتسليما . ونؤمن بالنبيين والكتب المترلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين. ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين غير مكذبين. ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله تعالى، ولا نجادل في القرآن ونعلم أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين.

ولا نقول بخلق القرآن ولا نخالف جماعة المسلمين .

ولا نقول لا يضر مع الإسلام ذنب لمن عمله.

---

(١) ورد ذكر العرش في القرآن في عدة مواضع.

(٢) والكرسي قد ورد ذكره في القرآن في مواضع

ونرجو للمحسنين من المؤمنين، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم وسبيل الحق عليهم ولا نقنطهم والأمن والإياس ينقلان عن الملة، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة.

ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه .[١]

والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان [٢]وأن جميع ما أنزل الله في القرآن وجميع ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق .

---

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه عن أسامة بن زيد وهذا حديث بن أبي شيبة قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال لا إله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقال لا إله إلا الله وقتلته قال قلت يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ قال فقال سعد وأنا والله لا أقتل مسلما حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة قال قال رجل ألم يقل الله { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله } فقال سعد قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة.

(٢) وروى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال ما الإحسان قال أن تعبد الله

والإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالتقوى ومخالفة الهوى .

والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم وأطوعهم وأتبعهم للقرآن.

والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى .

ونحن مؤمنون بذلك كله، ولا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به .

وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين[1]، وهم

كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم {إن الله عنده علم الساعة} الآية ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم قال أبو عبد الله جعل ذلك كله من الإيمان.

(١) روى ابن حبان في صحيحه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. ورواه الحاكم في المستدرك عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فقال صلى الله عليه وسلم إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .وهو في سنن أبي داود وفي الترمذي عن أنس

في مشيئة الله وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما قال الله تعالى في كتابه العزيز﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾وإن شاء عذبهم بقدر جنايتهم بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثه إلى جنته، وذلك بأن الله مولى أهل المعرفته و لم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هديته و لم ينالوا من ولايته.[1]

بن مالك. ورواه غيرهم.

وفي مسند أبي يعلى عن يزيد الرقاشي عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي قال فقال تصديق هذا في القرآن قال فقرأ علينا إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما فهؤلاء الذين يجتنبون الكبائر وهؤلاء الذين واقعوا الكبائر بقيت لهم شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم قال فقال يزيد لأنس صدقت.

(١) روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة شك مالك فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية قال وهيب حدثنا عمرو الحياة وقال خردل من خير.

وفي حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري عن أنس بن مالك، بعد أن يحمد النبي عليه الصلاة والسلام ربه بمحامد ويخرج أناسا من النار، يقول صلى الله عليه وسلم:" فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة

اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله مَسِّكنا بالإسلام حتى نلقاك به .

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة[1]، ونصلي على من مات منهم، ولا نتزل أحدا منهم جنة ولا نارا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا شرك ولا نفاق ما لم يظهر منهم من ذلك شيء، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى.

ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف .[2]

ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة."

(١) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٦/٤٠٢):" عن بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا خلف من قال لا اله الا الله وصلوا على من قال لا اله الا الله."

قال الزيلعي في نصب الراية(٢/٢٦):" قال عليه السلام صلوا خلف كل بر وفاجر قلت أخرجه الدارقطني في سننه عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن مكحول عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا خلف كل بر وفاجر وصلوا على كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل بر وفاجر انتهى .

(٢) السيف هنا كناية عن القتل، وقد ورد النهي عن قتل المسلم إلا بحق الإسلام. وهذا المعنى مشهور. ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام، "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها."

ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا[1] ولا ندعو على أحد منهم، ولا نتزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية

وندعو لهم بالصلاح والنجاح والمعافاة .

ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة .

ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه.[2]

---

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.وهو في الترمذي، وسنن البيهقي الكبرى،وفي المعجم الكبير

(٢) قال العلامة البرتي:"إنما ذكر هذا لئلا يقع في الشك فيما ذكرنا من العقائد عندما يشتبه عليه شيء، أو يعتريه سؤال ولا يمكن دفعه، فحينئذ يجب عليه أن يفوض أمر ذلك وعلمه إلى الله فإنه هو العالم بحقائق الأشياء، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا يمكن للبشر معرفة كنه دقائق الأشياء وحقائقها إلا بتعليم وإلهام من الله، فإن الملائكة مع صفاء جواهرهم اعترفوا بالعجز عن العلم من ذواتهم، حيث قالوا(لا علم لنا إلا ما علمتنا) فكيف البشر مع شواغلهم عن التوجه إلى جناب القدس، وقد قال تعالى(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)."اهـ

ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر .[١]

والحج والجهاد فرضان ماضيان مع أولي الأمر من أئمة المسلمين برهم وفاجرهم لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما.[٢]

ونؤمن بالكرام الكاتبين وأن الله قد جعلهم حافظين.[٣]

---

(١) قال البابرتي في شرحه:"إنما ذكر هذا ردا على أهل الرفض فإنهم أنكروا جواز المسح على الخفين، وهذا وإن كان من أحكام الفقه لكنه لما اشتهرت فيه الآثار ألحقه بالعقائد دفعا لإنكار المنكرين، قال أبو الحسن الكرخي:إني لأخشى الكفر على من لا يرى المسح على الخفين."اهـ

(٢) قال البابرتي في شرحه:"إنما قال مع أولي الأمر، لأن الحج والجهاد متعلقان بالسفر واجتماع العساكر والقوافل، ولا بد فيه من ضابط يضبط أمور الناس عند اختلافهم ويقاوم العدو ويحسم مادة السراق، فلو لم يكن فيهم أمير يقع الخلل في أكثر الأمور، فيحتاجون إلى من يرجعون إليه في الأمور ويطيعونه ويكون نافذ الأمر فيهم، وهو السلطان أو نوابه من الأمراء، سواءا كان برا أو فاجرا، لأن العصمة ليست بشرط في الأمير، فإذا كان فيه نفع عام وانتظام مصلحة الرعية يصلح للإمامة وإن كان فاجرا، فإن فجوره لا يضر إلا نفسه."اهـ

ولا يفهم من كلام المصنف أن الإمام شرط في الحج والجهاد، بل غاية ما يريده هنا أن الإمام إن كان فاجرا فإن ذلك لا يقدح في جواز الحج معه أو مع من ينيبه. وكذلك الجهاد.

واعلم أنه لم يشترط أحد من الفقهاء المعتبرين لجواز الحج أن يكون الأمير موجودا.

(٣) قال تعالى(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد(

ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين.(١)

وبعذاب القبر لمن كان له أهلا وبسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .(٢)

---

(١) قال تعالى في سورة السجدة(وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون[١٠] قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون[١١].)[

(٢) قال البخاري في صحيحه(٤٦١/١):" باب ما جاء في عذاب القبر وقوله تعالى (إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) هو الهوان والهون الرفق وقوله جل ذكره (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) وقوله تعالى (وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)"اهـ

وفي صحيح البخاري عن عائشة قالت دخلت علي عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا لي إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتهما و لم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله إن عجوزين وذكرت له فقال صدقتا إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.

وفي صحيح مسلم عن طاوس قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عوذوا بالله من عذاب الله عوذوا بالله من عذاب القبر عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات.

واعلم أن الأدلة على ثبوت عذاب القبر كثيرة، والمراد بعذاب القبر أعم من أن يكون عذابا

والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

ونؤمن بالبعث وبجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط.[1]

فقط في القبر بل الحياة البرزخية وهي الحياة المتوسطة بين الدنيا والآخرة، وكما أنه يوجد عذاب في القبر فإنه كذلك يوجد نعيم فيه.

(١) مذهب أهل السنة في الصراط:

فأما أهل السنة فقد أثبتوا أصل الصراط واختلفوا في كيفيته، فإثبات أصله كما هو مذكور في كلام المصنف أعلاه، ومشهور في كتب أهل السنة.قال العلامة البيجوري في حاشيته على الجوهرة ص١٨٠ بعد أن ذكر أن الصراط لغة الطريق الواضح: "وشرعا جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار، خلافا للحليمي حيث ذهب إلى أنهم لا يمرون عليه، ولعله أراد الطائفة التي ترمى في جهنم من الموقف بلا صراط، وشمل ما ذكر النبيين والصديقين، ومن يدخل الجنة بغير حساب وكلهم ساكتون إلا الأنبياء فيقولون اللهم سلم سلم، كما في الصحيح. وفي بعض الروايات أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، هو المشهور، ونازع في ذلك العز بن عبد السلام والشيخ القرافي وغيرهما كالبدر والزركشي، قالوا:وعلى فرض صحة ذلك فهو محمول على غير ظاهره بأن يؤول بأنه كناية عن شدة المشقة، وحينئذ فلا ينافي ما ورد من الأحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبيه وكون الكلاليب فيه، زاد القرافي والصحيح أنه عريض وفيه طريقان يمنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال، وفيه طاقات كل طاقة منها تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم، وقال بعضهم إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره، فإن نور كل إنسان لا يتعداه إلى غيره، فلا يمشي

والميزان يوزن به أعمال المؤمنين من الخير والشرِّ والطاعة والمعصية .[1]

والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان ولا يبيدان.

وإن الله خلق الجنة والنار وخلق لهما أهلا، فمن شاء إلى الجنة أدخله فضلا منه ومن شاء منهم إلى النار أدخله عدلا منه .وكل يعمل لما قد فرغ منه وصائر إلى ما خلق له. والخير والشر مقدران على العباد .

والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال الله تعالى(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.(

وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد.[1]

أحد في نور أحد، ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين" ثم قال:"واتفقت عليه الكلمة في الجملة، أي بقطع النظر عن إبقائه على ظاهره كما هو مذهب أهل السنة، وصرفه عنه كما هو مذهب كثير من المعتزلة، فإنهم ذهبوا إلى أن المراد به طرق الجنة وطريق النار. وقيل المراد به الأدلة الواضحة."اهـ.

(١) ورد القرآن بالميزان فقد قال الله تعالى(فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية). وقال تعالى في سورة الأنبياء(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين[٤٧..)(]

(١) والأدلة النقلية على كون الله تعالى خالقا لكل شيء كثيرة، منها قوله تعالى في ســورة الرعد(قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكــون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهــو الواحد القهار[١٦])، وقوله تعالى في سورة الزمر(الله خالق كل شيء وهو على كــل شيء وكيل[٦٢]).

وهل حصر الخلق في الله تعالى يلزم منه أن العباد كلهم مجبورون على أفعالهم؟ قلنـــا: هـــذا سؤال ناتج عن سوء فهم، وضيق فكر، فالخلط بين مفهوم الجبر والخلــق، واشـــتراط الاختيار بالخلق، هو السبب في ذلك. وتحرير هذا المحل، أن نقول، إن الخلق هو الإيجاد بعد العدم، والمخلوق هو الموجود بعد العدم. والاختيار هو حصول إرادة الفعل فيك، ولا يشترط في الاختيار أن تخلق أنت الفعل، بل لو اوجده لك غيرك وأنـــت اخترتـــه فقط، لصح أن يقال إنك الذي اخترت هذا الفعل، وصح نسبة الفعل إليك على طريق الكسب، مع أنك لم توجده. فكونك مختارا لا يشترط له أن تكون خالقا، بل العكس هو الصحيح، أي إذا سلمنا أنك خالق، فيجب أن تكون مختارا، لأن شرط الخلق هو الاختيار، ولا يقال إن شرط الاختيار هو الخلق.فافهم هذا .

فالإنسان مختار وليس خالقا، فهو مختار لأفعاله وليس خالقا لها. ولا يترتب على ذلك كونه مجبورا، لأن الجبر هو حصول الفعل على خلاف الإرادة، وهنا لم يحصل الفعل إلا على وفاق الإرادة، فكيف يقال إن الناس مجبورون. ولكن غاية ما وقع هو أن الإنسان ليس هو الذي خلق الفعل، بل الله هو الذي خلقه، وأما الإنسان فهو الذي اكتسبه. فالفعل منسوب إلى الإنسان كسبا، وإلى الله تعالى خلقا.قالالله تعالى في سورة القرة(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كـــانوا يعملـــون[١٣٤])، وتأمل كيف قال (أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم مـــن الأرض) فـــالله

و لم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم[1]، وهو تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله) نقول لا حيلة لأحد ولا حركة

تعالى نسب الإخراج من الأرض إلى ذاته، ونسب للإنسان الكسب.

وقد لجأ العلماء من أهل السنة إلى مفهوم الكسب الذي هو غير مفهوم الخلق، لما رأوه من آيات عديدة في القرآن الكريم، تنسب إلى الله تعالى الخلق، وتنفي الخلق عن غير الله تعالى، وآيات تنسب الكسب إلى العبد، فعلموا أن العبد فاعل على سبيل الكسب، وأن الله تعالى فاعل لا على سبيل الكسب بل على سبيل الخلق. وعلموا أن الكسب ليس خلقا، وعلموا أن الكسب كاف في ترتب الثواب والعقاب، بل كاف في ترتب التكاليف على الإنسان.

(١) التكليف إذا أطلق عمَّ أنواع الأحكام الشرعية الخمسة وهي الوجوب والحرمة والندب والكراهة والإباحة، وهذه تشتمل على كل ما يمكن أن يُتَصَوَّرَ من مراتب الطلب في الشرائع. ومن المعلوم أن الشرائع أنزلت لحكمة وعاقبة حميدة، لمصلحة الخلق أجمعين، وذلك لتوصل الإنسان وغيره إلى كمال وجوده،فإذا وقف المكلف عند حدود الشرع، ووقف في كل نوع من أنواع الأحكام حسب مرتبته فأذ بالواجب على أنه واجب وبالمندوب على أنه مندوب وبالمباح على أنه مباح إلى آخره، فإنه يصل إلى كمال وجوده على حسب طاقته ووسعه، وبالتدريج .

فأوامر الله تعالى ومطلوباته من عبيده تعلقت بكل شيء مما يتصور أن يتلبس الإنسان به، أو يكون له مدخل في حياته في الدنيا والآخرة .

وبما أن أوامر الله تعالى عامة التعلق، والله تعالى لا يأمر إلا بما يرضى، وإذا أمر أمر به على الوجه الذي يرضاه، ولا ينهى إلا عما لا يحب، وإذا نهى نهى على الوجه الذي أحب.

ولا نتصور أمرا خارجا عن أوامر الله ونواهيه له مدخل في الرسالة والشرائع .

فيتحصل مما مضى أن الشرع الذي أنزله الله تعالى لا يتصور فيه نقص ولا قصور، وهذا

ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله.

وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا(تقدس عن كل سوء وحَيْنٍ[(١)]، وتنزه عن كل عيب وشين)(لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.[(٢)](

معلوم من الدين بالضرورة.

والله لا يأمر العباد إلا بما يطيقون، وما يأمرهم به لا يكون شرا، فيتحصل لنا من هاتين الكلمتين أن الشرَّ لا يطيقه العباد، وما يظهر لنا من الإنسان حين يشرب الخمر أنه يطيقه، فهذه إطاقة ظاهرية ومؤقتة غير معتبرة، وذو العقل السليم لا يلتفت إليها، لأن حاصل شرب الخمر هو هلاك الجسد، والإنسان لا يطيق هلاك نفسه، والشرور إنما هي نقصان في وجود الموجود، والموجود لا يطيق عدم بعضه، لأن الإطاقة فعل يتعلق بموجود، والمعدوم ليس بشيء فلا تتعلق به إطاقة، لهذا قرر المحققون من علماء الأصول أنه لا تكليف إلا بفعل، فالفعل وجودي مطلقا .

(١) الحَيْنُ هو الهلاك والمحنة. وفي بعض النسخ (تقدس عن كل سوء وشَيْنٍ) والشين هو النقص والعيب. وفي بعضها (تقدس عن كل سوء.(

(٢) لما كان الظلم هو إعطاء الشيء غير ما يستحق، وكان كل ما سوى الله تعالى لا حق له ثابت إلا بتثبيت الله تعالى له، فإن الظلم منفي عن الله تعالى مطلقا.

وأما ما يعده الله تعالى لعباده، فإنه لا يخلفه، ولكن هذا لا يكون حقا لهم ثابتا إلا بتثبيت الله تعالى له.والله تعالى لا يخلف وعده.

وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات.[1]

والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات[2]، ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحَيْنِ.[3]

---

(١) قال الشيخ الغنيمي في شرحه على العقيدة الطحاوية بعد أن ذكر أن دعاء الأحياء فيه منفعة للأموات:"وقد توارث السلف له، فلو لم يكن للأموات نفع فيه، لما كان له معنى، وقال عليه الصلاة والسلام:"ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه"، وعن سعد بن عبادة أنه قال يا رسول الله إن أم سعد ماتت، فأي صدقة أفضل، قال الماء. فحفر بئرا وقال هذه لأم سعد. والأحاديث والآثار في هذا الباب أكثر من أن تحصر."اهـ

وهذا الكلام قد نقله الغنيمي عن السعد في شرح العقائد النسفية كما نبه، وتكملة كلامه هناك:"وقال عليه الصلاة والسلام الدعاء يرد البلاء، والصدقة تطفئ غضب الرب، وقال عليه السلام إن العالم والمتعلم إذا مرا على قرية فإن الله تعالى يرفع العذاب عن مقبرة تلك القرية أربعين يوما."اهـ

(٢) ذكر العلامة الطحاوي هذا هنا، لئلا يتوهم متوهم أن الدعاء يؤثر بنفسه، بل الله تعالى هو الذي يستجيب للدعاء، فالأثر إنما هو صادر من الله تعالى، وهو الذي يقضي الحاجات. وهذا المعنى واضح.

(٣) معنى الحَيْنِ هو الهلاك. كما مضى.

لما ثبت أن الله تعالى هو الموجود الواجب الوجود، وثبت أن كل ما سواه فإنما هو ممكن الوجود، فقد لزم أن كل ما سوى الله تعالى فهو محتاج إلى الله تعالى، ولا يمكن أن يستغني كل ما سواه عنه طرفة عين، وإلا لأصبح من أهل الهلاك، وهذا مطابق لما قرره

والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى.

ونحب أصحاب رسول الله صلى الله علي وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .

ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون .

وأن العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله الحق وهم: أبو بكر، وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد، وسعيد وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين .

أئمة الكلام من أن الممكن محتاج إلى الله تعالى حال الإيجاد، وبعد ذلك، أي إنه محتاج إلى الله تعالى لاستمرار وجوده أيضا .

ومَنْ أَحْسَنَ القولَ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسي من كل رجس، فقد برئ من النفاق .

وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يُذْكَرُونَ إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .

ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء .

ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم.

ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال[1] ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء.

---

(١) في البخاري أيضا عن مجاهد قال كنا عند بن عباس رضي الله تعالى عنهما فذكروا الدجال أنه قال مكتوب بين عينيه كافر فقال بن عباس لم أسمعه ولكنه قال أما موسى كأني أنظر إليه إذ انحدر في الوادي يلبي.

وفيه عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان.

وفيه أيضا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق.

ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها.[1]

ولا نصدق كاهنا ولا عرافا[2]، ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

---

(١) في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة.

وفي المستدرك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصى وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان يجتمعون فيقولون لهذا يا مؤمن ويقولون لهذا يا كافر.

(٢) روى الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هذا حديث صحيح على شرطهما جميعا من حديث بن سيرين ولم يخرجاه وحدث البخاري عن إسحاق عن روح عن عوف عن خلاس ومحمد عن أبي هريرة قصة موسى أنه آدر.

وهو في سنن البيهقي الكبرى بلفظ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد.

ورواه الإمام أحمد بهذا اللفظ عنه وعن الحسن، وإسحاق بن راهويه.

ونرى الجماعة حقا وصوابا والفُرقة زيغا وعذابا، ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تاعلى(إن الدين عند الله الإسلام) وقال تعالى(ورضيت لكم الإسلام دينا (وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن واليأس، فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا، ونحن برءاء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه .

ونسأل الله تعالى أن يثبينا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم برءاء وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق .